

# القدس

## العاصمة الدائمة للثقافة الإسلامية

أ.د. سعيد أبو علي

المشرف العام ورئيس تحرير مجلة المقدسية

على أطلال قصر هشام بن عبد الملك، وهو الابن الوريث لعبد الملك بن مروان باني مسجد قبة الصخرة المشرفة بالحرم القدسي في مدينة القدس، وفي رحاب مدينة القمر مدينة أريحا عميدة مدن الأرض بعمر موثق تكتبه الآثار الحضارية المكتشفة منذ ما يزيد على عشرة آلاف عام.

وعلى الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة الموافق الثاني عشر من نيسان/إبريل 2019 كانت وزارة الثقافة الفلسطينية، تنظم حفل افتتاح، فعاليات الاحتفال بالقدس، عاصمة للثقافة الإسلامية بمشاركة العديد من الفرق الفنية من دول إسلامية وعربية، جاءت لتشارك بتراث بلدانها، والاحتفاء بهذا الحدث المميز. وكان احتفالاً في غاية الجمال والروعة، المعبرة عن عمق حضاري عريق، يميز الثقافة الإسلامية وارتباطها الروحي والوجداني كما الحضاري والعمراني بمدينة القدس.

وكانت جامعة الدول العربية، إلى جانب العديد من المنظمات الدولية، كما البعثات الدبلوماسية العربية والإسلامية والدولية، تعبر بحضورها هذا الاحتفال البديع، إلى جانب المغزى السياسي والحضور الدبلوماسي، عن الروابط الإنسانية بالقدس ومكانة هذه المدينة العريقة لدى الإنسانية جمعاء، وما ترمز إليه من أبعاد ذات صلة وثيقة، ليس فقط بالتوحيد، وكونها مدينة السلام والتعايش، وأنها بوابة السماء، وإنما أيضاً تأكيداً لهويتها العربية الإسلامية الإنسانية وتأكيداً على حماية هذه الهوية لهذه المدينة الخالدة.

وإن عبرت جامعة الدول العربية (حيث تشرفت شخصياً بتمثيلها بهذا الحدث) عن اعتزازها بهذا الاحتفاء المبارك، الذي حرصت على المشاركة فيه، لما للقدس من مكانة وحقوق، وما ترتبه من واجبات ومسؤوليات، وخاصة أن قرار اختيار القدس، عاصمة للثقافة الإسلامية في هذه المرحلة، يكتسب أهمية بالغة، وصبغة استثنائية، تعبر فيما تعبر، عن تضامن الأمة الإسلامية جمعاء ووقوفها في وجه ما تتعرض له القدس من استهداف.

قد تشرفت الثقافة العربية في العام 2009، بأن تكون القدس عاصمة لها، وهاهي اليوم عاصمة للثقافة الإسلامية، تحظى هذا العام بهذا الشرف، تنفيذاً لقرار المؤتمر الإسلامي الاستثنائي، لوزراء الثقافة المنعقد في 2018/11/29، بشأن تعزيز الدعم الإسلامي والدولي للحفاظ على التراث الحضاري والثقافي في القدس الشريف، (القرار المنشور في باب الوثائق بهذا العدد من «المقدسية») وبموجب ذلك القرار يأتي اعتبار القدس عاصمة للثقافة الإسلامية بعد عشرة أعوام من اعتبارها عاصمة للثقافة العربية ليشكل امتداداً وتكاملاً، يعبر عن هوية القدس العربية الإسلامية العريقة، بكل أبعادها الروحية والحضارية والتاريخية، المعنوية والمادية، تعبيراً يجسد في أحد معانيه، الطابع الإنساني للمدينة المقدسة عبر الأزمان، بهويتها الثقافية والروحية المتميزة، ومكانتها الرمزية في قلوب المؤمنين المسيحيين والمسلمين على امتداد العالم بأسره.

ما يجعل من هذه المناسبة، منبراً لدعوة دول وشعوب العالم، لإبراز هذه الهوية المميزة للقدس، والحفاظ عليها، وإن كان ذلك في المقام الأول واجباً ومسؤولية عربية وإسلامية، تعكسها هذه الاحتفالية، النابعة من القناعة الراسخة، بعروبة القدس، والوعي الكامل بضرورة حمايتها، بل وتعزيزها وتأكيد حضورها وتواصلها، أمام هذا الاستهداف الجامح وهذا العدوان الإسرائيلي البالغ الضراوة، الذي تتعرض له القدس، بصورة غير مسبوقة تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً، كما في باطن الأرض وعلى وجه الأرض وسماؤها، وبكل الأبعاد، روحياً وسياسياً وقانونياً.

وخاصة فيما كشفته وأكدته نتائج الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة، من تهديدات جدية، واسعة تستهدف القدس والقضية الفلسطينية برمتها تسارعاً في إعداد وتنفيذ المشاريع والمخططات وتماهياً مع ما يقرر وينفذ في الدوائر الأميركية والإسرائيلية من سياسات وقرارات واستراتيجيات.

ومن هنا تأتي أهمية إعلان القدس عاصمة للثقافة الإسلامية، بأن يكون هذا الإعلان بمضمون نضالي، يترجم المشاركة الفعلية في حماية القدس وتعزيز صمودها، دفاعاً عن حضارتها الإنسانية التاريخية، التي قامت بنحتها وتشكيل هويتها وخصوصيتها وتميزها، الحضارة العربية والإسلامية، ليرتبط مجدها عضويًا بالعرب والمسلمين، ولتزدهر خصوصيتها الثقافية بفضل قيم السماحة والتعايش، قيم الاعتدال والحوار والسلام، التي نشرها الإسلام وجسدها هذا الموروث التاريخي، والتناغم العمراني والحضاري في التعايش الإسلامي المسيحي عبر قرون وفي ظل الحضارة العربية والإسلامية طيلة القرون الماضية.

وإذ نرى القدس اليوم وهي تواجه هذا الخطر الكبير وهذه التحديات الجسيمة جراء استمرار تنفيذ المخططات الاستعمارية بشكل منهجي وسريع من تهديد واستيطان واقتلاع وتهجير إلى طمس للمعالم وتزوير للميراث واستئصال للهوية، فإننا نحیی المقدسين الذين يذودون عن مدينتهم ومقدساتهم

وعاصمة دولتهم المستقلة الآتية رغم كل التحديات، ونحبي الشعب الفلسطيني العظيم، مسلميه ومسيحييه وقيادته، يخوض معركة القدس، معركة الحرية والاستقلال وبناء الدولة والتي لن تكون عاصمتها سوى القدس.

كما نعيد التأكيد على أهمية بلورة الخطط التنفيذية على المستويين العربي والإسلامي القادرة على مواجهة الخطط والمشاريع الاستيطانية الإسرائيلية وإفشالها بالاستناد إلى ما تم إقراره في القمم العربية والإسلامية، وفي هذا المؤتمر الاستثنائي لوزراء الثقافة من مصادر وموارد الدعم المعنوي والمادي للقدس، بما في ذلك الخطط الاستراتيجية التي وضعتها السلطة الفلسطينية وتم تبنيها وإقرارها كحق وواجب عربي وإسلامي مكفول بالقانون وقرارات الشرعية الدولية وهي الاستراتيجية التي يتناول عرضها أحد تقارير هذا العدد من المقدسية.

وفي الحقيقة، تتضاعف أهمية الرسالة، التي يبعث بها معنى الاحتفاء بالقدس عاصمة للثقافة الإسلامية هذا العام، نظراً لما تتعرض له المكانة السياسية والقانونية للقدس من تهديد، جراء الانحياز الأميركي غير المسبوق للاحتلال الإسرائيلي، الذي بلغ حد التطابق في تنفيذ المخططات الاستعمارية الاستيطانية والذي تجاوز مستوى استهداف الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية إلى استهداف العرب والمسلمين جميعاً.

ومهما كان الموقف العربي والإسلامي واضح وحاسم في رفض قرار الإدارة الأميركية اعتبار القدس عاصمة لدولة الاحتلال الإسرائيلي ونقل السفارة الأميركية إليها إلى رفض آخر القرارات المعادية للحقوق الفلسطينية والعربية، فإن التأكيد على الرفض العربي القاطع لهذا القرار المدان المنتهك للقانون الدولي والقرارات الأممية ذات الصلة والذي يعزل الإدارة الأميركية عن دورها في عملية السلام في المنطقة وفي العالم، ينبغي أن يتزامن ويرتبط في أن يكون لهذا الرفض مضامينه العملية وفعالية مستمرة تحقق الهدف من الرفض وهو إلغاء أي آثار أو نتائج له على طريق إسقاطه.

حيث ينبغي استمرار التأكيد أن ذلك القرار الأميركي قرار باطل ولا يرتب أي آثار على الوضعية القانونية الثابتة للقدس بفعل القرارات الأممية وقواعد القانون الدولي المؤكدة على أن القدس جزء لا يتجزأ من الأرض الفلسطينية المحتلة سنة 67 وأن اعتراف الإدارة الأميركية بسيادة إسرائيلية عليها، ونقل السفارة الأميركية إليها لن يغير في الحقيقة شيئاً ولا ينشئ أثراً أو يرتب التزاماً.

خاصة وقد كشف رد الفعل العالمي علي ذلك القرار المدان والمرفوض مدى عزلة الموقفين الأميركي والإسرائيلي حين تداعت دول العالم لرفضه وإدانته وبيان أثره على الاستقرار في المنطقة وعلى فرص حل الدولتين المعبر عن إرادة المجتمع الدولي بما يعزز من قوة الموقف العربي والإسلامي، وهو أمر ينبغي الحفاظ عليه حفاظاً على التضامن العالمي والكتلة التصويتية الدولية التي تقارب الإجماع لصالح القضية الفلسطينية، مع الانتباه إلى أن هذه الكتلة وهذا الإجماع أصبح مستهدفاً بصورة معلنة من طرف السياسات الإسرائيلية وقرارات الإدارة الأميركية.

ومع كامل التقدير لهذه المواقف الدولية المساندة للحق والشرعية، فإن الرد العملي على هذا القرار الباطل إنما يكون بالاعتراف بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية، فهذا الاعتراف يكتسب اليوم أهمية مضاعفة وأكثر من أي وقت مضى.

هذا إلى جانب الالتزام الدولي القوي والراسخ برفض القرار الأميركي وأي قرارات مماثلة، خاصة نقل السفارات أو افتتاح المكاتب الرسمية بالقدس، حيث إن الموقف من قضية القدس سيبقى معياراً حاكماً في علاقة الدول العربية بالدول الأخرى.

وما الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة الإسلامية إلا تجديد لهذا الالتزام العربي الإسلامي بمواصلة الجهد والدعم والإسناد للشعب والقيادة

الفلسطينية دفاعاً عن حقوق الأمة في القدس وعن هوية القدس ومواجهة القرار الأميركي والمخططات الإسرائيلية التي تستهدفها، وفي الوقت نفسه فإن جميع الدلالات تؤشر على أن الأمر، وإن كانت القدس في مقدمته، لا يتعلق بملف القدس وحده وإنما بموقف أميركي من قضايا الوضع النهائي كافة بما فيها قضية الاستيطان واللجوء ومدى الالتزام بحل الدولتين، وما يحتم الجهد العربي والإسلامي رسمياً وشعبياً وفي كل المجالات لمساندة الحق الفلسطيني ودعم القرار الفلسطيني لإسناد الشعب الفلسطيني وتعزيز صموده، وخاصة المقدسيين الذين بصمودهم ونضالهم اليومي يتأكد الوجود العربي الإسلامي في المدينة المقدسة.

إن الفلسطينيين عامة والمقدسيين على نحو خاص يصمدون صموداً أسطورياً في وجه البطش الإسرائيلي الذي أطلق عنانه بالقرار الأميركي ليزداد ضراوة وتسارعاً بصورة غير مسبوقة، ولاشك أن الصمود الذي ينبغي تعزيزه وإسناده بكل السبل الممكنة بما يتناسب مع مساحة التحدي وخطورة الموقف الذي يواجه القدس مقتبساً من كلمة لأمين عام جامعة الدول العربية السيد أحمد أبو الغيط قوله:

«إن القدس بالنسبة للأمتين العربية والإسلامية ليست موضوعاً سياسياً فحسب، وإنما مكون رئيس في الوجدان الروحي الإسلامي والمسيحي وركن ركين في الهوية القومية والثقافية، ويخطئ من يظن أن الأمة مع انشغالها بما تتعرض له من تحديات قد يضعف من مكانة القضية الفلسطينية، قضية الأمة العربية والإسلامية الأولى التي تجمع عليها وتهب لنصرتها بكل سبيل وستبقى القدس جوهر هذه القضية وجوهرة العواصم العربية والإسلامية عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة، وستبقى عربية ما بقي أهلها الصامدون المرابطون وطالما صدح الأذان من الأقصى ودقت أجراس كنيسة القيامة».